المحاضرة الرابعة

الشعر الملحمي

1ـ الملحمة لغة:

الموقعة العظيمة، القتل في الحرب، ومنها تلاحم القوم إذا تقاتلوا، ويدل مصدرها أيضا على معنى (الإحكام) فيقال لحم الأمر، أي أحكمه، وألحم الشعر أي نظمه فهو ملحم، والقصيدة ملحمة إذا كانت مترابطة محكمة. (1)

2ـ الملحمة اصطلاحا: قصة شعرية قومية، بطولية، خارقة، وهي مزيج من الحقيقة والخيال أو كما قال فكتور هيجو:" الملحمة هي التاريخ على أعتاب الأسطورة"(2) وتتسم الملحمة بنزعتها الإنسانية الرفيعة وهدفها القومي الجليل، وكثيرا مايكون في أصل القصص الملحمي حدث تاريخي قديم، يطوّر مضخما، ويعبر به عن الآمال القومية الواسعة، والأهداف الاجتماعية النبيلة. وهكذا ففي الملحمة قصص متعدد الأجزاء، موحد الهدف، وفيها تاريخ قديم ينبع من صميم الحياة في اهتزازات عزتها الأولى؛ وفيها بطولة تتجلى في المواقع الحربية؛ وفيها خوارق ترفع الأحداث إلى جو الأساطير، وترفع البطل إلى المثالية العليا التي تجتمع فيها آمال الأمة. (3)

والقصص في الملحمة لا يخلو من أوصاف، وحوارات، وخطب، كما انه لا يخلو من استدارات قد تطول أحيانا.

3ـ أنواع الملاحم: الملحمة نوعان: الملحمة الفطرية والملحمة الطبيعية

ـ الملحمة الطبيعية: تلقائية تنشأ عفويا في بداوة الشعوب، يشترك في إنشائها الشعب كله، تكون في بداية الأمر حكاية على ألسنة عامة الناس، ثم تصير هذه الحكايات ملهمة للشعراء فتتفتق قرائحهم، وتصير ملاحم شعرية كما هو الشأن بالنسبة لـ: إلياذة هوميروس وسيرة عنتره؛ أي أنها تظهر على ألسنة الشعب متسلسلة متضخمة، وتسير في طريق نموها إلى أن يتاح لها قلم شاعر موهوب يجمع شتاتها، ويخرجها إخراجا فنيا ممتعا.

ـ الملحمة العلمية المصطنعة: تظهر متأخرة في حياة الأمم والشعوب، وهي من عمل شاعر واحد، تخلو من صدق العاطفة وحرارتها وعاطفتها أقل حرارة من الملحمة الطبيعية.

4ـ الملحمة في الآداب الأجنبية:

الشعر الملحمي من الأجناس الأدبية القديمة، عرف في بادئ الأمر لدى اليونانيين، وكان وسيلتهم الوحيدة لتسجيل الأحداث التاريخية والقومية وقد أحاط الغموض والشك حول نشأة شعر الملاحم، وهناك من شكك حتى في وجود هوميروس، ونسبوا الملاحم، إلى كتاب شعبيين مجهولين، عاشوا في عصور مختلفة والإلياذة والأوديسا هما تقريبا النصان

الملحميان الكاملان المتبقيان من نصوص الملاحم الإغريقية القديمة، ولا يمكن فهم الملحمة كجنس أدبي إلا بالاطلاع عليهما، كونهما اللبنتين الأساسيتين اللتين انطلقت منهما بقية الملاحم عبر العصور المختلفة.

الإلياذة والأوديسا:

الإلياذة: وتعني أغنية اليونان واليونان كان يطلق عليها آنفا طروادة التي تتغنى الإلياذة بأبطالها وأمجادها. وتقع هذه الملحمة في أربعة وعشرين نشيدا، يشتمل كل واحد منها على 500أو 700 بيت شعري، وبالتالي يكون مجموع أبياتها حوالي ستة عشر ألف بيت، وهي

تقص أحداث السنة الأخيرة من الحرب الضروس التي قامت بين الإغريقيين الأوربيين وأهل طروادة في حصارهم الشهير، وكان سبب هذه الحرب اختطاف هيلانة زوجة منيلاوس ملك مدينة طيبة من طرف باريس أحد أمراء طروادة، ودام حصار طروادة عشر سنوات وكانت نهاية هذه الملحمة مفتوحة[4]

أما **الأوديسا:** فتتحدث عن عودة أودسيوس Odusseus وهو Ulysses من حرب طروادة، وذلك بعد انتهاء الحرب بعشر سنين، وتستغرق حوادث الملحمة ستة أسابيع، وقد رجع كل من بقوا عللى قيد الحياة بعد معركة طروادة ومن لم يرجع فهو في عداد الأموات إلا أوديسوس فقد منعته الآلهة كاليبسو(Calypso) من مغادرة جزيرة أوجوجيا(Ogugia) مدة سبع سنوات.

تصور الأوديسا تنافس أمراء أتيكا من أجل الظفر بـ بينيلوبيا، لكنها صمدت وكانت ترفض كل من يفكر بالظفر بها بحجة أنها مشغولة بنسج كفن والد زوجها اوديسيوس واسمه لايرتس، بيد أنها كانت تفسد ليلا غزلها الذي حاكته نهارا، ويذهب تليماخوس ابن اوديسيوس، يبحث عن أبيه مسائلا العائدين من حرب طروادة، ولكنه لا يحقق فائدة وتدبر له مكيدة حتى لا يعود، بيد أن الإله زيوس يصدر أمرا لإطلاق سراح أوديسيوس وعند عودته تصادفه أهوال كثيرة قبل اطلاق سراحه وبعده ويقص هذه الأهوال على الكينوس حاكم جزيرة سخرية وهي جزيرة أسطورية فيساعده هذا الحاكم على العودة بإهدائه سفينة توصله إلى جزيرة أتيكا التي يصلها متنكرا في زي متسول، يتعرف على ابنه ثم أبيه لايرتيس ويظفر ببنيلوب زوجة ويحد مع والده لمحاربة الأعداء لكن الآلهة تقر السلام. **الإلياذة**: وهي للشاعر الروماني الكبير فرجيلوس، يتحدث فيها عن حيلة ملوك الإغريق عندما فشلوا في في اقتحام مدينة طروادة، رغم عدتهم وعددهم فصنعوا حصانا خشبيا ضخما، وتظاهروا بالانسحاب إلى سفنهم، فصدّق الطروادیون ما رأوه بأم أعينهم وفكروا في

ادخال ذلك الحصان إلى مدينتهم على أنه غنيمة كبرى، وكي تسهل عليه عملية إدخال الحصان إلى مدينتهم، عمدوا إلى تحطيم جزء كبير من سور المدينة المحصن، وهو الهدف الذي كان يسعى إلى تحقيقه ملوك اليونان. وما أن تم لهم إدخال الحصان إلى المدينة، وثب من داخله الجنود الذين كانوا وسطه، وهجموا على الحراس، وفتحوا أبواب السور العظيم...